# لهوى

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني لسنة ٢٠٠٩م

WWW.ATTAWEEL.COM

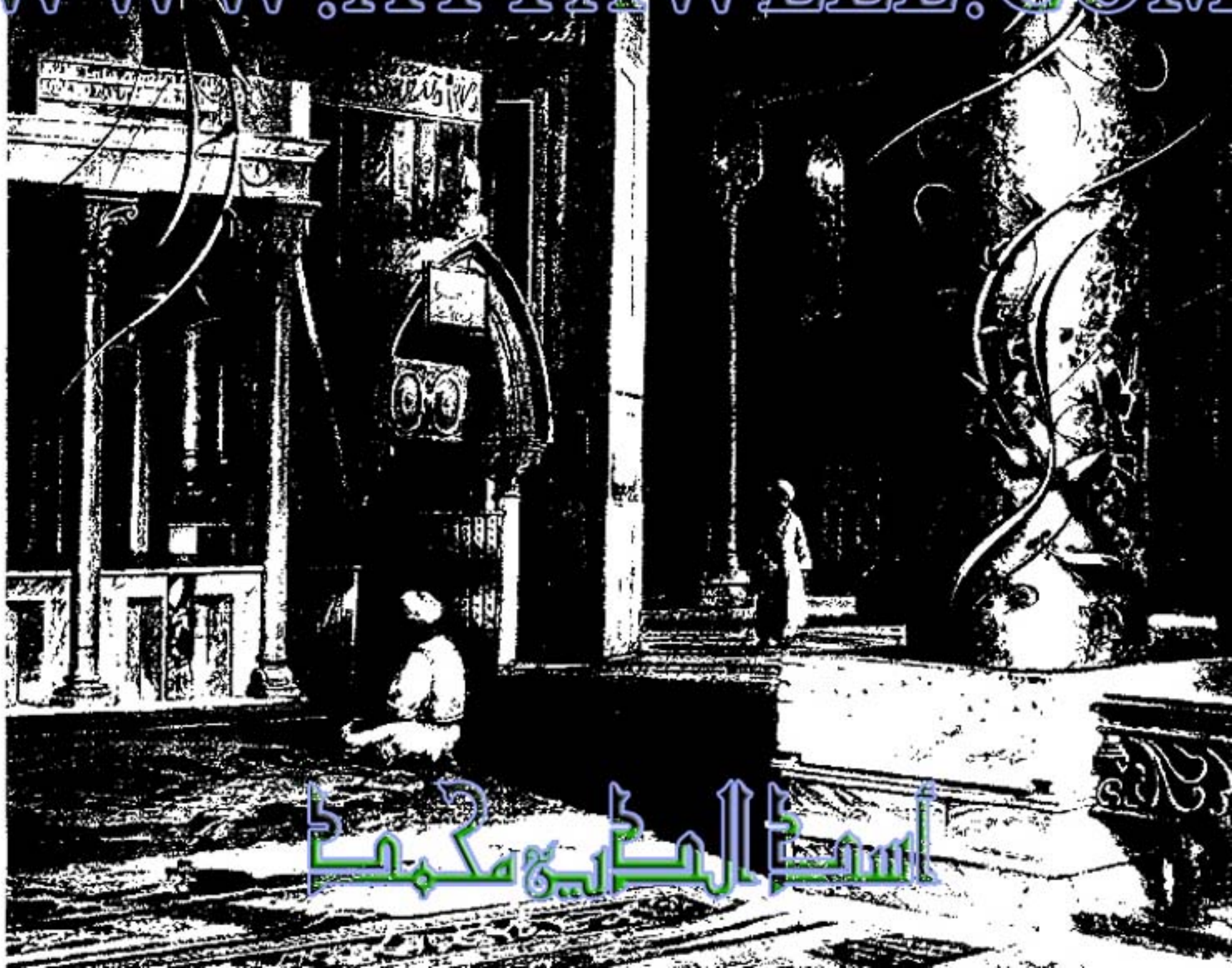

أسعد الحكيم

# مقدمة في دراسة النشاط التجاري

## في الاردن خلال العصر العباسي

الدكتور سوادي عبد محمد
كلية الاداب. جامعة البصرة

مقدمة:

لعل اصعب ما يواجه الباحث في الاحوال الاقتصادية لبلاد الشام عموما ندرة المعلومات التي يمكن الحصول عليها في المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر. الا اذا اجتهد للعثور في تحليل هذه المعلومات واستيعابها بما يغنيه في هذا المجال. فضلا عن التشابك في التقسيمات الادارية لهذه البلاد وتداخل اوضاعها، بعضها ببعض مما لا يتيح المجال لتوضيح دور كل اقليم منها بمعزل عن الاخر.

فاذا كانت هذه المعلومات المشتتة التي تخصنا بها المصادر التاريخية والجغرافية، قليلة الى هذا الحد فكيف بنا، اذا سعينا الى التفصيلات عن اوجه النشاط الاقتصادي لكل وحدة ادارية أو اقليمية من بلاد الشام؟ وخصوصا ما يتعلق بالتجارة أو الزراعة أو الصناعة أو النظام المالي أو النقدي أو الضرائبي، فاننا سنكون امام سيل من التساؤلات عما يجعل هذه الجوانب أكثر وضوحا. ولكن ينبغي علينا، أن لا نبالغ في ذلك الى ما يجعل دراستنا هذه محورا لمعلومات تكهنية، فهناك من النصوص ما يمكن تحليلها باتجاه تفسير الموضوعات الاقتصادية المتعلقة ببلاد الشام ومنها النشاط التجاري لاقليم الاردن في العصر العباسي، وادراك طبيعته من خلالها والتوصل الى الحقائق التاريخية الثابتة.

ومعروف ان الاردن ظهر في الكتابات التاريخية والجغرافية منذ العهود الاسلامية الاولى، وتبلور اسمه أحد اجناد[1] بلاد الشام الخمسة وظل محتفظا بأهميته خلال العصرين الاموي والعباسي ويمكن القول أن هذه الأهمية تركزت في دوره في الحياة الاقتصادية وبخاصة في النشاط التجاري، فلو استعرضنا ما جاء به المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون لاتضح بجلاء ما يساعدنا على الفهم الصحيح لما اضطلع به هذا الاقليم على نطاق التجارة في العالم الاسلامي، خلال تلك الحقبة، وكذلك في حدود منطقة بلاد الشام ومصر.

موانئ الاردن ومراكزه التجارية:

يشير اليعقوبي الى أهمية كور الاردن ودورها في تجارة منطقة الشام وبحر الروم (المتوسط) وخصوصاً في هذه الحقبة، اذ عاش هذا المؤرخ حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فيقول: ((ان طبرية وهي مدينة الاردن وصور ساحلية من مدنه، وكذلك عكا وقدس وبيسان وفحل وجرش والسواد)) اذ تبلغ مواردها فيما عدا ما تدره الضياع الاخرى، مائة الف دينار، وهو ما يأتيها من تجاراتها[2]، ويضع ابن رسته مدينة الطبرية في سلسلة كور الشام ثم يقول: ((وجند الاردن وهي الطبرية، ثم يعدد الاجناد الاخرى[3] مشيرا، من طرف خفي الى اهميتها باعتمادها على ذاتها اقتصاديا، بتحصيل مواردها ودفع اعطيات الجند وارزاقهم. أما ابن خرداذبه الذي توفي على اعتاب القرن الرابع الهجري، فيعدد كور الاردن، وهي طبرية والسامرة وبيسان وفحل وجرش وبيت راس.

ويخلص الى القول ان خراج الاردن ثلثمائة وخمسون الف دينار[4] ولعل اكثر هذا المبلغ كان يتحصل عن طريق التجارة ونشاطاتها المختلفة، لأن اغلب هذه الكور التي ذكرها ساحلية تستقبل السفن والمراكب وتكلم قدامة بن جعفر بعد ربع قرن تقريبا من وفاة ابن خرداذبة، عن الطرق والمسافات بين كور الاردن المجاورة، بما يوحي بانها كانت مهيأة للتجار والمسافرين، لنقل البضائع. فيذكر ارتباط الاردن بالموصل والجزيرة الفراتية وسنجار ونصيبين والرقة ومنبج وحلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق ثم ارتباطها بمصر وما والاها، اذ تصل الى القاهرة والاسكندرية كما يذكر الطريق المؤدية منها الى القيروان في بلاد المغرب



WWW.ATTAWEEL.COM

العربي[6] ثم يقرن ذلك بخراج الاردن (موارده) التي كانت تبلغ في زمانه مائة وتسعة آلاف دينار[7].

واغلب الظن، ان هذا البلداني وغيره، ممن عنوا بذكر السكك والمسافات بالمسالك بين المدن والبلدان والممالك كانوا يسعون لوضع معلومات تمهد لاولئك الذين كانوا يرتادونها من المسافرين والتجار واصحاب البريد، فتصبح دليلا لهم للوصول بين مدينة واخرى بأقصر الطرق واوفرها امانا ووقتا. كما ان تيسيرها بأيدي هؤلاء بين حين واخر، يظهر اهتمام أهل ذلك العصر بالتجارة.

ويؤكد الاصطخري ان طبرية هي مدينة الاردن الكبرى تقع على بحيرة عذبة الماء، طولها اثنا عشر ميلا، عرض فرسخين او ثلاثة فراسخ، وان صور التي وضعها المؤرخون والجغرافيون في جند الاردن خلال تلك الحقبة[8]، بلد من احسن الحصون التي على شط البحر، عامرة، خصبة، ونقل انه اقدم بلد بالساحل[9] ولا غرو فان هذه الاهمية لمدينتي طبرية وصور اللتين يتحدث عنهما الاصطخري، انما تتمثلان بموقعها الذي لابد ان يكون له تأثير في اتصالاتها، سواء على البحر او في البر والظاهر أن العمران الذي اشار اليه الكاتب فيما يتعلق بمدينة صور، حصل نتيجة خصبها واتجارها بالمحاصيل والمنتجات الزراعية.

ونقل ابن حوقل (المتوفى سنة ٣٤٩هـ) المعلومات التي جاء بها الاصطخري، ولم يزد عليها سوى الاشارة الى العيون الحارة الجارية التي كانت تغذي بحيرة طبرية اذ اصبحت هذه العيون بمياهها المعدنية، مقصدا للناس من جميع الافاق، يغتسلون ويخوضون فيها ليوافق موضع شفائهم[10] ومن الطبيعي ان يرافق ذلك نشاط نقل وجلب بعض السلع والبضائع التي كانت تلقى رواجا في هذه المدينة أو في غيرها من مدن الاردن.

غير ان المقدسي يزودنا بمعلومات مهمة عن طبرية التي وصفها بأنها، قصبة الاردن، وخصوصا ما يتعلق بنشاطها التجاري، فيذكر ان في اسفل البحيرة جسراً عليه طريق يتجه نحو دمشق، وتلتف حول المدينة القرى والنخيل والبحيرة كثيرة الاسماك خفيفة الماء، وان السفن فيها تذهب وتجيء[11] ويمضي صاحب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليوضح ان مدينة "اللجش". احدى توابع الاردن موضوعة بين اربعة من الرساتيق قريبة من البحر. ثم يقدم لنا تفصيلات عن مدينة صور وميناءها الذي كان يستقبل المراكب والسفن التجارية، وقال: ان المدينة حصينة لا يمكن دخولها الا من باب واحدة تؤدي الى جسر احاط بها، وقد ابتنيت حيطان ثلاثة في داخل المياه المواجهة لها، واقتطعت من البحر ثم ركبت سلسلة من الحديد تمنع دخول المراكب في الليل، ويمكن ارخاؤها نهارا "فتغطس في الماء، لكي تدخل السفن اليها لتفريغ حمولتها[12].

اما مدينة "عكا" فقد اكتسبت هي الاخرى اهميتها من موقعها على البحر المتوسط ومن ميناءها الذي ابتنى منشأته احمد بن طولون صاحب مصر وبلاد الشام ٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م على غرار مدينة صور[13].

وتوضح اشارة المقدسي التي مفادها، ان العدو البيزنطي كان قبل ذلك يغير على المراكب في مدينتي صور وعكا[14]، توضح الاهمية البالغة لتجارة هاتين المدينتين اللتين بلغ من نشاطهما، انهما جلبتا انتباه أكبر امبراطورية تهيمن على تلك المنطقة وتبسط نفوذها السياسي والبحري والتجاري هناك.

وظلت عكا وصور، محتفظتين بمنزلتهما وازدهارهما التجاري خلال القرن الخامس الهجري، يؤكد ناصر خسرو، وجود ميناء عكا للمحافظة على السفن، ويبدو ان هذا الرحالة، شاهد السفن الراسية وهي تملأ خليج المرفأ فقال انها: تشبه الاساطيل ظهرها ناحية المدينة وحانطاها داخلا البحر وعلى امتدادهما، مدخل مفتوح وطوله خمسون ذراعا وقد شدت السلاسل بين الحانطين، فاذا اريد ادخال سفينة الميناء ارخيت السلسلة حتى تغوص في الماء، فتمر السفينة فوقها، ثم تشد حتى لا يستطيع عدو ان يقصدها بسوء[15] وقال عن صور: انها بنيت على صخرة امتدت في الماء بحيث ان الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلله، وفيها نافورات، ثم يصف اسواقها، بانها جميلة كثيرة الخيرات وخلص الى القول، ان صور عرفت بالثراء، مشيدة على مرتفع وتأتيها المياه من الجبل[16].

وليس من شك في ان ما جاء به ناصر خسرو وهو شاهد عيان يعد استمراراً لدور هاتين المدينتين التجاري في هذا الجزء من بلاد الشام وفي منطقة البحر المتوسط، كما انه

يقدم صورة فيها كثير من الوضوح لما شهدتا من ازدهار في الناحيتين العمرانية والاجتماعية وهو نتيجة منطقية فالثراء واليسر هما من سمات المدن التجارية في تلك الحقبة. إذ تعد مراكز استقطاب لأصحاب الثروات والاموال ومنها صور وعكا اللتان يشكل فيهما التجار المحليون والوافدون نسبة كبيرة في سكانهما فضلا عن نمو أسواقهما.

أما الرحالة الربي بنيامين التطيلي، وهو من أهل القرن السادس الهجري فقد ذكر في رحلته الى بلاد الشام، ان صور مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين، تدخله السفن للرسو عند الميناء، وبين البرجين، سلسلة حديد معترضة عليها الحراس الامناء، يربطونها في أول الليل فيتعذر على سفن القرصان، سبيل الدخول للسلب والنهب، سواء من البر أو من البحر، ثم يبدي هذا الرحالة اعجابه ودهشته من نظام هذا الميناء فيقول: ((ليس في بلاد الدنيا ما يماثل هذا الميناء شأنا))[٢٦].

ومن الجدير بالاشارة هنا الى ان التطيلي الذي سجل انطباعاته عن تلك المظاهر اثناء تجواله في بلدان العالم الاسلامي وغيره وفي بلاد الشام، قدم لنا شهادة موثقة عن النشاط التجاري لاقليم الاردن وشهرته في عالم ذلك العصر الذي تمثل التجارة وفعالياتها المختلفة فيه مظهرا من مظاهر الأبهة والمدنية ومدخلا الى الثراء واليسر.

وفي الربع الاول من القرن السابع الهجري، زار الرحالة ابن جبير منطقة بلاد الشام وكتب عنها مذكراته في رحلته، فذكر مدينة عكا التي هي من جند الاردن فقال: ((انها مرفأ كل سفينة)) حتى انه كان يشبهها في عظمتها بالقسطنطينية التي تمثل في تلك الحقبة مركزا تجاريا عالميا، وقال ايضا ((أنها مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق)) واضاف ((ان سككها وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطئ الاقدام))[٢٧].

وهذه شهادة اخرى، لا تقل اهمية عن شهادة من سبقه من الرحالة بسنوات طويلة، لكنه زاد عليهم ما جاء في وصفه الدقيق والمقتضب عما شاهده من السفن والمراكب وهي ترسو في الميناء من كل حدب وصوب ومن التجار من البلاد الاسلامية وغيرها وقد ملأوا شوارع المدينة بزحامهم فضاقت بهم.

ولا نجانب الحقيقة، اذا قلنا ان ما جاء به المؤرخون من معلومات مفصلة عن ميناءي صور وعكا وهما ومن كور جند الاردن، تعكس صورة واضحة عن مكانة هذا الاقليم وتميزه بين اقاليم العالم الاسلامي وذلك بنشاطه الاقتصادي وازدهار تجارته فكانت عكا اول ساحة التقى فيها التجار الايطاليون من البيزيين والجنوبيين والبنادقة، وتبعهم تجار من بلجيكا وانكلترا، فكانوا يجلبون حاصلات الغرب ويقايضونها بحاصلات الشرق وبضائعه، ثم راحوا يعقدون الصفقات التجارية الاصولية، اما صور فكان لها دور عسكري في مواجهة الغزو البيزنطي، ففيها دار صناعة المراكب والسفن ((ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم))[٢٨] ولكن لابد ان تسهم دار صناعة السفن في هذه المدينة في تزويد حركة التجارة بالسفن والمعدات اللازمة ومتطلبات تسييرها الى جانب ذلك، فقد كانت مراكب صور تقلع الى سواحل خليج القسطنطينية (بحر ايجة) والى خليج البندقية (بحر الادرياتيك) والى بحر بنطس (البحر الاسود) وتعرج كذلك على جزائر قبرس وروديس واقريطش، وهي تحمل التجار المسلمين أو وكلاءهم والتجار النصارى وغيرهم، وهو يصطحبون تجارتهم وامتعتهم.

واكتفى ابو الفدا في القرن الثامن الهجري، بذكر عكا وصور فقال: ((عكا مدينة كبيرة ساحلية، وان صور مدينة حصينة ساحلية فيها سلسلة تمنع المراكب من الدخول[٢٩])) ونستدل من قوله على ان هاتين المدينتين لا تزالان، حتى تلك الحقبة، تقومان بدورهما في تجارة بلاد الشام، اذ بقيت الأولى على توسعها منذ القرن الماضي، كما احتفظت الثانية بنظام مينائها الذي كان معمولا به سابقا، وخصوصا وجود السلسلة التي كانت تربط واجهة الميناء الذي ترسو فيه السفن والمراكب التجارية.

ولا غرو فان ما ذهب اليه الاستاذ محمد كرد علي من ان مدينتي عكا وصور، كانتا المرفأين الاعظمين بين الموانئ وقاعدتي التجارة ومركزي القناصل العاملين أيام الحروب الصليبية[٣٠] كان صحيحا إذ جاءت المراكب الفرنسية يقودها بحارة فرنسيون من مرسيليا ومونبليه وآرل الى هذين الميناءين، وكان يحدوهم الأمل في الحصول على تجارة مربحة مع بلاد الشام ومصر، كما بذلت جنوا بصورة خاصة جهودها لتبقي لها الافضلية في التجارة مع بلاد الشام والبلاد المصرية[٣١].

وهكذا يكون من غير المتعذر، ان نستخلص التأكيد على

الأهمية التي ينطوي عليها وجود ميناءي الاردن عكا وصور في التاريخ الاقتصادي لبلاد الشام، وخصوصا اذا ما علمنا ان عكا بقيت بخليجها الوحيد على طول ذلك الساحل، مرسى للسفن، طوال العصور الوسطى، كما جلبت صور بميناتها المنظم اهتمام تجار العالم وبما اسبغته من حماية وامن كانا ضروريين لتجاراتهم التي كانت تتطلب مزيدا منها، في حوض البحر المتوسط الذي ما لبثت تتجول فيه سفن القرصان[٢] لتهدد مراكب التجار والمسافرين اينما ظفرت بها على السواحل أو في عرض البحر.

الطرق التجارية:

ان قيام مملكة بيت المقدس الصليبية الممتدة من جبال طوروس الى القدس وعلى طول الساحل وانتشار مقاومة الصليبيين في جنوب الاردن، اوجد حاجة ملحة الى طرق اتصال تجارية بين المدن والحصون والقلاع لتأمين وصول المواد والسلع والتموين والبضائع - بصورة منظمة ومستمرة، وقد اصبح ذلك نظاما ثابتا بين مدن الاردن الداخلية والساحلية، وظل العمل به حتى بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام وفلسطين في نهاية القرن السابع الهجري، ولعل من أهم الطرق التي ظهرت هي:

١. طريق القاهرة دمشق البري والبحري، وهو طريق التجارة الاكثر ازدهارا بين الشمال والجنوب عبر بحر القلزم (البحر الاحمر).

٢. طريق الحجاج الشاميين والمصريين الذي ينطلق نحو بلاد الحجاز من جنوب الاردن، وقد سميت هذه الطريق "طريق القوافل الكبرى" وكان يجتازها المسافرون السوريون وهي لا تبعد عن البحر الا قليلا ويمر بشرق نهر الاردن خارج فلسطين وقد اتيحت الفرصة للتجار المسلمين في تبادل السلع مع التجار الاوربيين الذين كانوا يسلكون طريق البحر للوصول الى فلسطين في هذا الموسم، وقد انشأت على هذه الطريق معالم الامن والراحة للحجاج والمسافرين وقوافل التجار وهناك اشارة مفيدة اوردها ابو الفدا، توضح ان عمان من جند الاردن المدينة الاولية، تقع على درب حجاج الشام ويمر في جنوبها نهر الارقاء تنتشر حولها المزارع والبساتين[٣]، وهذه الاشارة تساعدنا على القول، ان عمان كانت مركزا من مراكز تجمع الحجاج والمسافرين والتجار الشاميين والمصريين وهم في طريقهم الى الحجاز او لدى عودتهم من هذه البلاد.

٣. طريق البريد، الذي يبدأ من بغداد الى مصر، مارا بحماة وحمص وبعلبك ودمشق وطبرية من أرض الاردن والرملة وغفار والقاهرة ثم الاسكندرية[٤]، وكان التجار والمسافرون قد اعتادوا على نقل بضاعتهم وتسيير قوافلهم عليه، لوجود محطات على قارعاته اشبه بالقرى والمدن الصغيرة فيها الخانات والسقايات والمرابط والمعالف فضلا عن توفر الامن وبعض متطلباته.

٤. وهناك طريق تجارية من بغداد الى بلاد المغرب العربي عبر بلاد الشام مار بمنطقة الاردن، وقد ذكرها قدامة بن جعفر واشار الى انها تبدأ من بغداد الى الموصل وسنجار وبلد والجزيرة الفراتية ونصيبين والرقة وحلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق ثم منها الى طبرية الاردن ثم الرملة ثم القاهرة ومنها الى الاسكندرية واخرها القيروان[٥] ومن المحتمل جدا ان تكون هذه الطريق سالكة طوال العصور العباسية، لانها تحمل اكثر تجارات العراق ومنها البصرة الى بلاد الشام وبلدان المغرب العربي، وكانت "دومة الجندل" المحطة الوحيدة في الطريق بين العراق وبلاد الشام وهي تبعد سبع مراحل عن دمشق وتسع مراحل عن طبرية الاردن[٦].

٥. وهناك ما يشير الى وجود طريق تجارية داخلية، يمثل نهر الاردن فيها جزءا مهما فهو ينحدر من خلف بانياس فيتجر بازاء قدس، ثم ينحدر الى طبرية، وعندها يشق البحيرة ثم ينحدر في اغوار الاردن، وتحمل في السفن الصغيرة في هذه الطريق حاصلات المدن ومتاجرها الى جميع المناطق التي تمربها ثم تعود حاملة معها بضائع تلك الاصقاع[٧].

٦. ونسمع عن طريق من جند الاردن وكورها الى جزيرة قبرص التي تقع قبالة مدينة صور وعلى بعد(٩٣) كيلو مترا وكانت قبرص تضم مدنا عامرة وللمسلمين فيها رفق وسعة لكثرة ما يحمل منها من الخيرات والثياب والالات وهي لمن غلب، المسافة اليها في البحر اقلاع يوم وليلة وذلك على حد قول المقدسي[٨] وبعد استيلاء الجنوبيين ومن ثم البنادقة، خلال الحروب الصليبية على هذه الجزيرة ازدادت صلاتها مع بلاد الشام وخصوصا التجارية، اذ نشط التجار الايطاليون والمسلمون في ايجاد فنادقهم وقياسرهم وخاناتهم سواء في مدن قبرص أوالاردن بغية الانصراف الى

تجاراتهم وتنظيم تعاقداتهم وممارساتهم الاقتصادية.

ولعل من المراكز التجارية المهمة في الاردن، خليج ايلة "العقبة" التي امتد اثرها منذ العصر العباسي حتى وقتنا الحاضر، وقد عد المؤرخون ميناء ايلة من أهم الموانئ على بحر القلزم (البحر الاحمر) فهو يشكل احد المنافذ الرئيسة في شمال هذا البحر، فعن طريقها يتم نقل السلع والحاصلات من الغرب الى الشرق وبالعكس وكانت مدينته تيسر عقد الصفقات التجارية بين المصدرين والموردين كما تؤمن وصول تجاراتهم الثمينة احيانا باقل كلفة وبأسرع وقت واكثر تأمينا حتى اصبحت ايلة مطمحا للغزاة والفاتحين، وخصوصا الصليبين الذين سارعوا بعد نشر سيطرتهم في جنوب الاردن وعلى ميناء قلعة الشوبك سنة ٥٠٩هـ / ١١١٠ م الى احتلالها وابتناء المعاقل والحصون والقلاع حولها لاحكام السيطرة على الطرق والممرات التي كانت تتحكم فيها.

**الصناعة والزراعة وتجاراتهما:**

على الرغم من صعوبة فصل الصناعة عن التجارة في هذه الحقبة بشكل قاطع عن بعضهما، اذ كان الناس الذين ينتجون سلعة ما يقومون في الغالب بالاتجار فيها، كما يتجرون بالسلع المائلة لها[٢٩] ولكن يمكن الى حد ما، التمييز في بلاد الشام عموما وفي جند الاردن بصورة خاصة، بين السلع الموردة والمواد والبضائع التي كانت تصنع في مدن الاردن ويقوم المصنعون الحرفيون انفسهم بالاتجار فيها وكذلك بين البضائع التي كان يتخذها هؤلاء في تجاراتهم وهي ليست من صنعهم بل كانوا يبتاعونها سواء من الداخل أو الخارج، فمدينة "اللجون" تنتج الزيت والزيتون الذي ليس في شيء من البلدان اكثر منه في بلادنا[٣٠] ومدينة قدس كثيرة الخير، اكثر اهلها ينسجون الحصر ويفتلون الحبال وقريب منها جبل عاملة ذو قرى نفيسة واعناب واثمار وزيتون وهو يطل على البحر ويتصل بجبل لبنان[٣١]، وكانت اكثر تجارات اجناد الشام من الزيت والحصر والحبال للسفن من هذه الكور وسواها، كما كان من بين سكان مدينة صور من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج الصوري الشهير في العالم وفيها كذلك السكر الجيد[٣٢] ومعلوم ان صور كانت مشهورة بصنع الزجاج والسكر في العصور الوسطى، وقد ظلت معاملها تصدر هاتين المادتين حتى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، كما كانت ايضا اول مدينة اشتهرت بصنع الاصباغ منذ عهد الفينيقيين، وكان التجار يستوردونه منها ومن صيدا[٣٣] وبقيت هذه المدينة تتجر بالارجوان وهو نوع من الصبغة يصنع في صور، وكان الاوربيون يتهافتون في الحصول عليه[٣٤] وفي مدينة عمان جبال حمر يسمى ترابها "السمقة" وهو تراب رخو وفيها كذلك جبال بيض تسمى "الحوارة" فيه ادنى صلابة يبيض به السقوف ويطين به السطوح[٣٥] ومن المرجح جدا ان السمقة والحوارة تدخل في اكثر المباني والمنشآت في الشام والبلاد المجاورة.

وتؤكد المصادر المتوفرة على الاتجار بالحاصلات والمنتوجات الزراعية في اغلب مدن الاردن، فمدينة "بيسان" على النهر كثيرة النخيل والارزاز و"كابل" مدينة ساحلية، بها مزارع الاقصاب، وبها يطبخ السكر الفائق و"الفراذية" قرية كبيرة، معدن الاعناب والكروم، بها ماء غزير وموضع نزيه[٣٦] و"الصلت" (السلط الحالية) في جبل الغور الشرقي، فيها بساتين كثيرة وحب الرمان المجلوب منها مشهور في البلاد وهي بلد عامر آهل بالناس[٣٧] و"الكرك" بلد مشهور، احد المعاقل بالشام، لها بساتين كثيرة وفواكهها مفضلة من المشمش وغير ذلك، في الافاق و"الشوبك" بلد صغير كثير البساتين وفواكهه من المشمش وغيره مفضلة وتنقل الى ديار مصر[٣٨] وفي البحيرة القريبة من مدينة "قدس" انواع من السمك منه البني حمل الى واسط[٣٩].

ومهما يكن من امر تجارات هذه المدن التي ذكرها المؤرخون ووصفها الرحالة، سواء التي شهرت بالصناعة الحرفية او بالزراعة فانها اوجدت بالضرورة الركائز الاساسية للنشاط التجاري على النطاق الداخلي في بلاد الشام عموما أو مع البلدان المجاورة او البعيدة وهو ما كان يجري في جميع البلاد الاسلامية ولعل من اهم الركائز التي نقرأ عنها، المعمولات (المصنوعات) التي اشار اليها المقدسي[٤٠] وهي تشمل على ما يبدو، جميع ما يصنع من المعادن أو من الحاصلات الزراعية أو من المنتجات الحيوانية التي هي من المواد الاولية الخام، اي ان موارد هذه المدن وانتاجها العام، خلق توجيها نحو التجارة فضلا عن نمو فئة الصناع والعاملين والحرفيين، الذين كانوا يجدون المادة الاولية لصناعاتهم[٤١].

اما الركيزة الاخرى، فهي فئة التجار بأصنافهم ومراتبهم وتخصصهم التدريجي في عملية الاتجار، فيذكر

المقدسي، وجود التجار والصناع[٣٠] واهل الثروة واليسار[٣١]، كما يشير الى توفر معادن الكبريت والرخام والسمقة والحرارة (شبيه بالجص والبورك للبناء والتشييد[٣٢] فضلا عن وجود مزارع الاقصاب والنخيل والأعناب والزيتون والحبوب والاشجار والفواكه[٣٣].

ومن الجدير بالذكر، ان هناك ما يشير الى وجود الصيارفة والجهابذة[٣٤] الذين كانت تتم على ايديهم عمليات تجارية مختلفة، وخصوصا ما يتعلق بالتبادل، سواء بالنقد او بالمقايضة، غير أنه لا يوجد لدينا ما يدل على وجود تجارة الائتمان بالصكوك أو بتحويل ثمن الشراء الى الصراف، وهو اسلوب من المعاملات التجارية كانت تجري في بعض البلاد الاسلامية[٣٥].

التبادل وتجارات المدن:

تعود منطقة البحر المتوسط، ظاهرة الحرية في نقل الصناعات والحاصلات الفائضة والمتعددة من بلاد لاخر، ويرجع وجود هذه الظاهرة الى عهود ما قبل التاريخ، اذ مزج الناس في تلك البقعة وصهروا في عالم دائب التبادل في السلع والرجال والخبرة الفنية[٣٦]، ويمكن ان نلمس تدفق السلع المستمر بين بلدان البحر المتوسط واوربا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فكان التجار الافرنج يستبضعون من ديار الشام، الحرير والقطن والكتان والخام والانسجة الكتانية والحريرية.

اما حركة الصناعيين الحرفيين في هذه المنطقة، فنجد المصريين في بلاد الشام والشاميين في بلاد المغرب العربي وكان منهم الصباغون والصاغة والفراؤن والخياطون والنساخون وصانعو الزجاج (الزجاجون) وغزالو الحرير والاسكافيون وغيرهم كثيرون من اصحاب الحرف والصناع. كما نستطيع ان نرى الى جانب هؤلاء تجارا من بلاد الشام منتشرين في محيط البحر المتوسط، وتجار من القاهرة وتونس والاسكندرية والمهرية في صور وعكا وعسقلان وطبرية ودمشق وبيروت وبعلبك وغيرها من الديار الشامية، وكان هؤلاء يجاهدون في حمل متاجرهم والتفتيش عن عملاء يبتاعونها، أو العثور على سلع مناسبة يمكنهم مبادلتها أو شراؤها. وفي هذا الصدد، نسمع عن اليعقوبي[٣٧] وهو يتحدث عن مدينة صور يشير من طرف خفي، الى تصديرها للسفن والمراكب المصنوعة في دار صناعتها (ترسانتها) الى مصر وبلاد الروم، ثم نسمع في القرن السادس الهجري عن تجار بالارجوان والاواني الصينية والزجاج والثمار والعقاقير والحشائش الطبية والافاويه العطرية. وبقيت هذه المدينة، تعامل من قبل تجار الافرنج معاملة مثلى لا يمس احدهم بأذى، ولا يتعدى على حقوقه[٣٨]. وعن المقدسي، وهو يعدد تجارات بعض مدن الاردن بقوله: ((ومن مدينتي "صغر" (ولعلها صفد) و"بيسان" يصدر النيل والتمور من مدينة "عمان" الحبوب والخرفان والعسل والرز ومن "طبرية" شقاق المطارح والكاغد (الورق) والبرّ (نوع من النسيج) ومن "قدس" ثياب المنيرة والبلعيسية والحبال ومن "صور" السكر والخرز (أو الجزر) والزجاج المخروط ومن "ماب" قلوب اللوز[٣٩]، ويفهم مما اورده ناصر خسرو ان هناك تجارة للمرور[٤٠] (الترانسيت) كانت تزاولها مدينة "صور" ويؤيد التطيلي ما جاء في المصادر، عن شهرة صور بالسكر والزجاج[٤١] وان مصانعها كانت تصدره الى الآفاق، فنجده في الاسكندرية وتونس والقيروان، كما كان المغاربة يستهلكون "فستق الشام" الذي كان يصل اليهم مع الاصناف الاخرى بوساطة التجار البصريين والشاميين[٤٢] وكذلك الافمشة المذهبة المنقوشة[٤٣].

اما عن المستوردات فليست لدينا معلومات كثيرة ومفصلة ولكن يمكننا ان نقرر من خلال ما اوردته المصادر التي اتيح لنا الاطلاع عليها ان تجار بلاد الشام ومنهم تجار الاردن كانت لهم دور وكالة[٤٤] في الفسطاط وفي القاهرة وفي العراق[٤٥] (لعله في بغداد أو البصرة) وعن طريقها كانوا يتجرون عن البضائع المناسبة للبلاد الشامية لعقد صفقات توريدها الى هناك، ونسمع عن استيراد "بيسان" احدى مدن الاردن، التمور الكثيرة والدبس من البصرة[٤٦] وذلك بوساطة التجار الشاميين والعراقيين وغيرهم ومن هنا نستدل على وكالة الشاميين في البصرة، فقد كانت هذه الاخيرة مأوى كل تاجر وطريق كل عابر[٤٧] ومن الجهة الاخرى، فإن تجار العراق ومصر والمغرب والشرق الاقصى وبلاد فارس، كانت تحدوهم الرغبة المشوبة بالمعاناة في الوصول الى بلاد الشام لتصريف بضائعهم من توابل الهند

والعطور والفلفل والدارصيني (القـــرفة) والقـــرنفل والزنجبـيل والمسـك والكافور والعقاقـير والثياب والحناء والمناديل البلية (نسبـة الى الابـلة في البـصرة) والعمائم والاحـجار الثمينة ونسـيج الذهب واسـنان الفيل والحرير والياقـوت والماس واللؤلؤ والبللور والسنبـاذج والقـصدير وخشـب السـاج وقـرن الكركدن فضلا عن الذهب والفضة والطاووس والنعام وريشهما والقـردة والموازين والطنافس والرصاص والاحذية، ولعل أبن جبير يجعلنا اكثر اقتناعا في ذلك وخصوصا عندما نقـــرأ له ان عكا التي هي من جند الاردن، ملتقى السفن والتجار المسلمين والنصارى من جميع البلاد حتى انها كانت تضيق بهم[٣٠] كما ان هذه المدينة كانت الميناء الوحيد لتوريد الارز الى بلاد الشام بغية توفيره بسبب كثرة اعتماد السكان على هذه المادة مما رفع من شأنها ليس على نطاق الاردن فحسب وانما في جميع بلاد الشام والعالم الإسلامي، فضلا عن انها كانت المدينة الاكثر اتصالا باوربا عن سواها من المدن الشامية فاصبحت مطمحا للغزاة الذين كانوا يستهدفون احتلال الشام وفلسطين[٣١].

اما دور التجار اليهود "الراذانية"[٣٢] ويسمون ايضا "تجار البحر الرهدانية"[٣٣] في نقل تجارة بلاد الافرنج، الى الشام عن طريق البحـر المتوسـط، فيمكن فهمه على اسـاس الاتجار بـالذهب والنقـود وهي اثمن تجارات ذلك العصر واغلاها واكثرها نفعا وربحا وكذلك الديبـاج والخز الفائق، فكانوا يحملون بضائعهم هذه بانفسهم من اواسط اوربا الغربية عن طريق مرافئ البحـر المتوسـط منها عكا وصور وبيروت، فيبيعونها او يبادلونها بسلع غيرها ثم يتجهون نحو بغداد والبصرة ويسلكون طريق الخليج العربي للوصول الى الهند والصين ثم يعودون ببضائع هذه البلاد، كما انهم يعرجون بطريق آخر الى بلاد المغرب الاسلامي فيتوغلون للوصول الى مراكزه التجارية ويحصلون على الذهب من السـودان[٣٤] وأودغست[٣٥] ويعودون به الى اوربا عن طريق بلاد الشام وانطاكية والقسطنطينية[٣٦] وربما تاجروا بالذهب والنقود هناك.

لقد كشفت جنيزة[٣٧] القاهرة، ان عائلات يهودية كانت تمتهن التجارة في فلسـطين وصور وعكا والبـصرة والاسكندرية وبعض بلاد المغرب، وقد تعاونت هذه الاسر فيما بينها على تبادل الصفقات التجارية والمشاركة مع التجار المسلمين والهندوس والمسيحيين للرواج في تجارات مربحة[٣٨]. وذكر التطيلي، ما يشير الى وجود هذه العائلات اليهودية في مدينة صور وهي تتجر بواسـطة السـفن والمراكب التي كانت تمتلكها فتجوب البحـار في الشـرق والغرب، كما كان بـعضهم من احـترف صناعة الزجاج والسكر[٣٩].

ومن الجدير بـالذكر ان الضرائب التي كان يفرضها الحكام والولاة على اقاليم بلاد الشام ومنها جند الاردن، كانت باهظة اذا قورنت بما كان يستحصله حكام الولايات الاخرى في البلاد الاسلامية: فقد فرض الحمدانيون في عهد سيف الدولة اموالا على مناطق بلاد الشام لا يبالغ المقدسي كثيرا في تقديرها، فقرر على قنسرين ان تدفع (٣٦٠) الف دينار وعلى الاردن (١٧٠) الف دينار وعلى فلسطين (٢٥٩) الف دينار وعلى دمشق اربعمائة ونيف دينار وعلى حمص (٢٤٠) الف دينار، اما خراج الاردن فهو (٢٥٠) الف دينار وخراج فلسـطين (٥٠٠) الف دينار[٤٠] ويمكن ان نسـتدل من هذه الارقام على النشاط الاقتصادي المتعدد الجوانب الذي تمتاز به هذه البلاد ولعل التجارة في مقدمتها.

اما وحـدات الاوزان والنقـود التي أرى فائدة من عدم اغفالها في موضوع التجارات وتبادل السلع (البيع والشراء) الذي يستند في اساسه على الوزن وخصوصا ما يتعلق بكثير من سـلع المحصولات والمعمولات والمصنوعات الحرفية، وما يختص بالنقد، قيمته وحجمه وعياره.

ووحدات الاوزان المستخدمة في بلاد الشام ثلاث،

١. وحدة الصاع
٢. وحدة المدى
٣. وحدة الارطال

اما الوحـدة النقـدية في هذه البـلاد خلال الحقبـة التي نهتم بدراستها فأساسـها "الشـعيرة" التي تدخل في قـيمة الدينار والدرهم وربما في عيار الدينار (اي نسبـة المعدن الثمين الذي يدخل فيه) ففي مدينة "الرملة" في فلسـطين تحسب كل ١,٥ صاع كيلجة واحـدة وان كل (٣) كيالج يعادل مكوكا واحدا ويساوي (١٠,٥) صاعا وكل (٣) مكوك يعادل (١) ويبـة والويبـة (٢١) صاعا، اما اللفيز فيساوي (٤) ويبـات ويعادل (٨٤) صاعا. وفي مدينة "ايليا" يسـتخدم المدى الذي يسـاوي (٣) قـفيزات ويحول الى (١٧٢) صاعا، وعلى هذا الاساس فكل (٣/١) مد يعادل قـفيزا واحـدا ويساوي (٤٢)

صاعاً. وفي مدينة "عمان" يستخدم المدى الذي يعادل (٦) كيالج التي مجموعها(٩) صاعات. ويشير المقدسي الى ان اهل عمان كانوا يبيعون في هذه الوحدة، الزبيب والقطين[٣٢]، وربما السلع والحاج الاخرى، ولعلهم كذلك كانوا يستخدمون ما جرى عليه اهل الرملة او اهل ايليا ايضا من وحدات للوزن في بيعهم وشرائهم، ويبدو على اغلب الاحتمال، ان مدن الاردن الاخرى تستخدم اوزانا مختلفة، ففي مدينة "صور" القفيز يساوي (١) مدى ايليا أي(٣) قفيزات من الرملة ويعادل (١٧٢) صاعاً، اما الكيلجة عندهم. فهي صاع وغراره والاخيرة ربما تكون من وحدات الصاع. وفي دمشق يحسبون كل (١,٥) قفيز بما يساوي (١٢٦) صاعا.

اما الارطال، فيجري استخدامها في بلاد الشام، ابتداءا من مدينة حمص حتى مدينة الحفار وتساوي ستمائة[٣٣] وحدة وزنية وهذه الوحدة يوضح المقدسي الذي ذكرها ما هيتها وطبيعتها غير انه يذكر ان رطل عكا الذي يساوي (١٢) اوقية، هو الذي فرض وجوده في عمليات البيع والشراء، وان الاوقية تساوي على حد قوله من (٥٠) الى بضع واربعين من هذه الوحدات، اما رطل قنسرين فيساوي (٤) اوقيات أي بمقدار ثلث رطل عكا.

وفي موضوع النقد والعملات المستخدمة في الاردن ومدنه فان المعلومات عنها لا تكاد تفي بالاجابة الدقيقة والمفصلة فالنقد اساسه "الشعيرة" اذ ان الدرهم يساوي (٦٠) حبة وان كل حبة واحدة تساوي شعيرة واحدة وان الدانو يساوي (١٠) حبات اي (١٠) شعيرات ويمكن تحويل الشعيرات الى قراريط الدينار الذي يساوي (٢٤) قيراطاً يعادل في الوقت نفسه (٨٤) شعيرة، ونستطيع ان نحتسب قيمة الدينار والدرهم بالشعيرات اذا عرفنا ان القيراط يساوي(٣,٥) شعيرة[٣٤] نستخلص من ذلك ان الدينار الذهبي الذي كان يجري التعامل فيه في معظم بلاد الشام والاردن خلال تلك الحقبة يساوي (١,٤) درهماً فضياً، اي ان الدراهم الفضية كانت غالية ويتطلبها الناس وذلك بعكس ما كان سائدا في البلاد الاسلامية الاخرى، فالدينار في العراق في بداية القرن السادس الهجري يساوي (١٠) دراهم واحيانا (١٠,٥) درهم وفي وقت آخر يساوي (١١,٥) درهما.

ولعل من المفيد القول، ان نقود بلاد الشام ومنها الاردن في هذه الحقبة من دراستنا، كانت تقوم على اساس مزدوج وهو الدينار الذهبي والدرهم الفضي وهي النقود التي ورثتها هذه البلاد عن دولة بني امية وتتمثل بالنقود الهبيرية التي ضربها عمر بن هبيرة والخالدية نسبة الى خالد بن عبد الله البجلي واليوسفية التي سكها يوسف بن عمر وكلهم من عمال العراق وولاته وكان العباسيون قد أبقوا التعامل فيها وخصوصا في العصر العباسي الاول.

والمؤسف ليست لدينا معلومات مفصلة عن هذه النقود من حيث انسجامها وخصوصا ما يتعلق بعيارها أو حجمها أو وزنها أو فيما يتعلق بتداولها وكثرتها في ايدي الناس، مما يؤدي الى رخص ثمنها وكيفية طردها للعملات الاخرى سواء الجيدة منها او الرديئة في السوق وفي محيط التداول.

واغلب الظن ان الدنانير "الارمانوسية"[٣٥] و"المرابطية"[٣٦] و"الصورية"[٣٧] و"المصرية"[٣٨] و"الاميرية"[٣٩] كانت معروفة لدى اهل الشام وفي الاردن لتوفرها بايدي التجار الذين كانوا يختلفون الى الموانئ وتدل الحركة التجارية النشطة في الموانئ على ليونة النقد والتعامل بالدنانير الوافدة، فاغلبها كان عملة جيدة، يطلبها ويسعى اليها التجار لأنهم كانوا يتجافون مناطق العملة الرديئة والرخيصة في معاملاتهم وصفقاتهم التجارية.

لكننا لا نميل الى الاعتقاد بوجود "القراضة" وهي اجزاء السكة وكسورها، وتقطع من الدينار الذهبي[٤٠] وذلك في منطقة الاردن على الرغم من شيوعها في بعض البلاد الاسلامية[٤١] وربما كانت تدخل عن طريق بعض تجار العراق والجزيرة الفراتية لوجود التعامل فيها ولقرب هذه البلاد من الشام، ولكن لم يكن يؤخذ بها بصورة رسمية ودائمة.

اما دور ضرب النقود في الشام والاردن بصورة خاصة فهي نفسها التي كان قد اوجدها الامويون ثم ابقى على بعضها العباسيون في دمشق وحلب والرملة وعكا وغيرها، لكن معلوماتنا عنها لا تزال قليلة وغير كافية.

## والهوامش

(١) وهو ما درج عليه المؤرخون منذ ان جند الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بلاد الشام، اربعة اجناد، جند دمشق وجند الاردن وجند حمص وجند فلسطين، ثم ظهر في عهد الامويين جند قنسرين فقال اليعقوبي: ((جند حمص من اوسع مدن الشام وجند دمشق وجند الاردن وجند فلسطين (كتاب البلدان) (المكتبة المرتضوية، النجف ١٩١٨) ص٨٥، ٩٠، وقيل الجند: المدينة، جمعه اجناد، واجناد الشام خمس كور، دمشق، حمص، قنسرين، الاردن وفلسطين، وقد سميت بذلك لان جند كل موضع يقبضون(أعطياتهم فيه، وقال ابن رسته: ((فجند عمر الشام، اربعة اجناد ومتفرقة في ايدي عماله، وبقيت على ذلك التجنيد حتى زاد فيها يزيد بن معاوية قنسرين وكانت من أرض الجزيرة، وجند فلسطين وهي الرملة وجند الاردن وهي الطبرية وجند دمشق وجند قنسرين (كتاب الاعلاق النفيسة، ليدن ـ ١٨٩١) ص١٠٧

(٢) كتاب البلدان، ص٨٨ـ٨٩

(٣) الاعلاق النفيسة، ص١٠٧

(٤) المسالك والممالك (اعادت طبعه بالاوفسيت، مكتبة المثنى ببغداد)، س٧٨

(٥) كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ص٢٢٧ـ٢٢٩

(٦) م . ن، ص٢٥١

(٧) اليعقوبي، كتاب البلدان. ص٣٢٧، ابن خرداذبه، المسالك والممالك. ص٧٨، ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، ص١١٦، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤٢.

(٨) المسالك والممالك، ص٤٤ـ٤٥

(٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٥ـ١٨٦

(١٠) م . ن، ص١٦١

(١١) احسن التقاسيم، ص١٦٢ـ١٦٤

(١٢) يذكر المقدسي، ان احمد بن طولون، الذي حكم مصر وبلاد الشام احب ان يتخذ لعكا مثل ما كان لصور ومنعتها واستدارة الحائط على مينائها، لجمع صناع الميناء ومهرته وعرض عليهم ذلك فذكروا له ان ابا بكر البناء، وهو احد العارفين بهندسة بناء الموانئ، فكتب الى عامله على بيت المقدس فارسله اليه، فقام بمهمته في اقتطاع قسم من البحر يقع قبالة المدينة وبنى حوله وربطه بسلسلة ثم جعل على الباب قنطرة يدخل الى السفن والمراكب فيها، وعندما اكتمل دفع احمد بن طولون نظر ذلك الى ابي بكر البناء الف دينار وخلعا مكافأة له ( احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص١٦٢ـ ١٦٣

(١٣) م . ن، ص١٦٣

(١٤) سفر نامه (نقلها الى العربية د. يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب اللبناني الجديد، ط٢، ١٩٧٠) ص٥٠ـ٥١ .

(١٥) م . ن، ص ٥٠

(١٦) رحلة بنيامين التطيلي (ترجمة عزرا حداد، بغداد، ط١، ١٩٤٥) ص٩١ـ٩٢

(١٧) رحلة ابن جبير (دار صادر، بيروت، ١٩٥٩) ص٢٧٦

(١٨) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٣٢٧

(١٩) تقويم البلدان، ص٢٤٢، ٢٤٥

(٢٠) خطاط الشام (بيروت ـ ١٩٧٠) ج٣، ص٢٤٥

(٢١) اقدم القناصل التي جاء ذكرها، هم الذين عينتهم جنوالها بها في مدينة عكا سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م وكان هؤلاء القناصل يصادقون على توقيعات العقود والوصايا والوثائق والصكوك ويتثبتون من هوية الوافدين الجدد من مواطنيهم، وخصوصا ما يتعلق بالتجار فيحسمون الخلافات التي كانت تقوم بينهم، واول ما ورد اسم القنصل في جملة النزالة الجنوية التي كانت في عكا، اواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وقد دعوه بنائب القمص(ـ،) ثم انتشرت هذه الرتبة في المناطق الاخرى.
انظر: محمد كرد علي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٥

(٢٢) رحلة التطيلي. ص٩١ـ ٩٢

(٢٣) تقويم البلدان، ص٢٤٩

(٢٤) آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٤١٢

(٢٥) كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ص٢٢٧ـ ٢٢٩

(٢٦) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص١١٥

(٢٧) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص١٨٤

(٢٨) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص١٨٤

(٢٩) جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، (الكويت ـ ١٩٨٠) ص١٤٧

(٣٠) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان. ص١١٦

(٣١) المقدسي، احسن التقاسيم. ص١٦١

(٣٢) رحلة بنيامين التطيلي، ص٩٢ واقترن بالسكر انواع عديدة من الشراب والحلويات والسكاكر.

(٣٣) رحلة بنيامين التطيلي، ص٩٢، هامش رقم (٢)

(٣٤) محمد كرد علي، خطط الشام، ج٣، ص٢٤٥

(٣٥) المقدسي، احسن التقاسيم. ص١٦٢، ١٨٤

(٣٦) م . ن، ص١٨٤

(٣٧) ابو الفدا، تقويم البلدان. ص٢٤٢

(٣٨) م . ن، ص٢٤٥

(٣٩) المقدسي، المصدر السابق، ص١٦٢

(٤٠) م . ن ،ص١٨٤، ونود كذلك الى وجود معادن المغرة الجيدة والحديد والرخام والكبريت والملح في مناطق مختلفة من بلاد الشام. ومن المحتمل ان يتجر بها الناس في الاردن.

(٤١) احسن التقاسيم، ص١٥٢

(٤٢) م . ن ، ص١٥٢

(٤٣) م . ن ، ص١٨٤

(٤٤) م . ن ، ص١٥٢

(٤٥) م . ن ، ص١٨٣

(٤٦) يطلق الدكتور عبد العزيز الدوري على طريقة المعاملات التجارية بهذا الاسلوب، طريقة التعامل المزدوج، وهو ان يأخذ التجار العملة المحلية لقاء بضائعهم ثم يشترون بهذه النقود بضائع من تلك البلاد وقد وصلت هذه الطريقة حد الكمال في البصرة خلال هذه الحقبة، اذ كانت العملية بوجهيها تتم عن طريق الطرفين دون الحاجة الى استعمال النقود فعلا (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، ١٩٧٤)، ص١٥٤

(٤٧) جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي. ص١٧١

(٤٨) كتاب البلدان، ص٨٨. ٨٩

(٤٩) محمد كرد علي، خطط الشام، جـ٢، ٢٤٥

(٥٠) احسن التقاسيم، ص١٨٠

(٥١) سفر نامه، ص٥١

(٥٢) سفر نامه، ص٥١

(٥٣) رحلة التطيلي، ص٩٢

(٥٤) د. عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي في القرن السادس الهجري (بيروت. ١٩٨٣) ص٢٢٨

(٥٥) المنتمون اليها يسمون نواب التجار اي" وكلاء التجار" وبالعبرية بيكيدها اسوحاريم ويميل جوايتاين الى القول ان هذه الوظيفة هي صورة مطابقة لقناصل المدن الايطالية التجارية في بلاد المشرق وفي الشام بصورة خاصة، ومهمته تشييد دار الوكالة ليخزن فيها بضائع زبائنه وتستخدم لعقد الصفقات التجارية العامة، اذ من المعتاد ان تجري صفقات البيع والشراء فيها (دراسات في التاريخ الاسلامي، ص٢٧١، ٢٧٢)

(٥٦) ابن ميسر، تاريخ مصر (نشر هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩.) ص٦٢، ٨٨

(٥٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٠

(٥٨) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٩٢

(٥٩) رحلة ابن جبير، ص٢٧٦

(٦٠) اشار المصدر السابق الى ان الافرنج انتزعوها من ايدي المسلمين فاصبحت قاعدة من قواعدهم في بلاد الشام، وكان ذلك يمثل اكبر خسارة للعالم الاسلامي (فبكى لها الاسلام ملء جفونه، وكانت احد شجونه، ص٢٧٦)

(٦١) وسموا ايضا "الرهدانية" أو "الراهدانية" وقد اشتق هذا من اسم نهر الرون، فنسبوا اليه ( ادم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ٢، ص٣٧١)

(٦٢) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان ،ص٢٧٠، ويسميهم ابن الصغير المالكي "الرهادنه" (سيرة الائمة الرستميين. ص٤١، ٥٧)

(٦٣) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢١٩

(٦٤) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٥٩

(٦٥) جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي،ص٢٧٧

(٦٦) المقصود بكلمة "جنيزة" حجرة تتخذ مخزنا، كان يلحق بالمعبد اليهودي أو اي مكان تخزن فيه الاوراق المكتوبة بالخط العبري او غيره، ويعتقد بانه يجب ان لا تقطع اية ورقة يسطر عليها "اسم الله" وانما تحفظ في مكان امين، وجنيزة القاهرة هي جنيزة كنيسة الفسطاط (مصر القديمة) والجنيزة القريبة من حبانة البساتين بالقاهرة، وقد عرفت هاتان الجنيزتان باسم جنيزة القاهرة وضمت عقودات ومحاضر للجلسات والخطابات والتقارير (جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، ص٢٤١-٢٤٢

(٦٧) جوايتان، المصدر السابق، ص٢٧٧، ٢٨١-٢٨٢

(٦٨) رحلة بنيامين التطيلي، ص٩١. ٩٢

(٦٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٩

(٧٠) احسن التقاسيم، ص١٨١

(٧١) م . ن ،ص١٨٢

(٧٢) المقدسي، احسن التقاسيم. ص١٨٢

(٧٣) البيزنطية، تنسب الى الامبراطور رومانس الثاني (القلقشندي، صبح الاعشى) جـ٧، ص١٠. ١٣

(٧٤) وهي الدنانير الذهبية ومصدرها بلاد الاندلس في عهد المرابطين

(٧٥) وهي الدنانير "المشخصة" افرنجية ورومية (القلقشندي، المصدر السابق، ص٤٢٧)

(٧٦) وقد شاع التعامل فيها في بلاد الشام والجزيرة

(٧٧) الدينار العباسي، الذهبي الذي كتب عليه اسم والي العهد وقد منع التعامل بغيره من العملات التي ضربت في دار الضرب ببغداد.

(٧٨) وتسمى "مثلوما" اذا بقي ما يساوي اكثر من القراضة المقطوعة منه ليصبح الدينار يساوي مجموع حجمي (القراضة والمثلوم) (ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ٣، ص٢١٢، ٢٩٦)

(٧٩) ذكر ابن خلكان، ان الناس كانوا يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة، وهي كثيرة الوجود بايديهم في معاملاتهم وخصوصا في بلاد الجزيرة والعراق (وفيات الاعيان، ص٢٩٦) واشار الذهبي الى ان الناس كانوا يتعاملون بقراضة الذهب القيراط والحبة ونحو ذلك (العبر في خبر من غبر، الكويت ١٩٦٦) ص

## المصادر والمراجع


- آدم متز
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، عصر النهضة في الاسلام(دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان).
- الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت٣٤٦هـ/٩٥٢م)
- المسالك والممالك(القاهرة، ١٩٦١).
- بنيامين التطيلي، الرحالة الربي بنيامين يسمونه التطيلي النبارى الاندلسي(ت٥٦٩هـ/١٧٣م) البكري، ابو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الطبعة الاوروبية، ١٨٥٧م)
- ابن جبير ابو الحسين محمد بن احمد الكناني الاندلسي الشاطبي البلنسي(ت٦١٤هـ/١٢١٧م)
رحلة ابن جبير (دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٩)
س. ن. جوايتان
- دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية(ترجمة د. عطية القوصي(الكويت، ١٩٨٠).
- ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)صورة الارض(دار مكتبة الحياة، بيروت)
- ابن خرداذبه ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت٣٠٠هـ/٩١٢م)
- المسالك والممالك(اعادت طبعه بالاوفسيت، مكتبة المثنى، بغداد)
- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان(مصر، ١٣١٠هـ)
- ابن رسته ابو علي احمد بن عمر(ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)
- الاعلاق النفيسة(ليدن، ١٨٩١م)
- ابن الصغير المالكي، عبد الله بن ابي عبد الله(ت نهاية القرن الخامس الهجري)
- سيرة الائمة الرستميين(باريس، ١٩٠٨)
د. عبد العزيز الدوري
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري(مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨)
- د. عز الدين احمد موسى
النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، خلال القرن السادس الهجري(دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢)
- آقدامة بن جعفر ابو الفرج، الكاتب البغدادي(ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)
- نبذ من كتاب الخراج مصنعة الكتابة(منشورات مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة)
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
- العبر في خبر من غبر(تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٠)
- ابو الفدا، اسماعيل بن نور الدين بن علي بن محمود بن محمد(ت٧٣٠هـ/١٧٣١م)
- تقويم البلدان(مطبعة دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠)
- ابن الفقيه ابو بكر احمد بن محمد الهمداني(ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)
- مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٣٠٢م)
- ابن القلانسي، ابو يغلي حمزة (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)
- ذيل تاريخ دمشق(بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨)
- القلقشندي ابو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)صبح الاعشى في صناعة الانشا(القاهرة، ١٩٢٢)
مجهول (عاش اواخر القرن السادس الهجري)
الاستبصار في عجائب الامصار (الاسكندرية ١٩٥٨)
محمد كرد علي
- خطط الشام(بيروت، ١٩٧٠) الجزء الثالث
المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري(٣٧٥هـ/٩٨٥م)
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن، ١٩٠٦)
- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)
- تاريخ مصر (طبعة هنري ماسيه، القاهرة، ١٩١٩)
ناصر خسرو، ابو معين القبادياني المروزي(ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)
- سفرنامه(ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥)
- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح(ت٢٨٤هـ/٨٩٥م)
- كتاب البلدان (المكتبة المرتضوية، النجف، ١٩١٨)